

نظرة أرسطو للمرأة

د. فرات امين مجيد

مركز ابحاث الطفولة والامومة / جامعة ديالى

تاريخ استلام البحث: ٢٠١٣/١١/٢٧ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٣/١٢/١٥

الكلمة المفتاحية: نظرة أرسطو للمرأة

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان نظرة أرسطو للمرأة فقد وضع أرسطو نظرية فلسفية عن المرأة ، يستمد دعائمها الأساسية من الميتافيزيقيا (*) ثم راح يطبقها في ميدان البيولوجيا أولاً ، والأخلاق والسياسة بعد ذلك ، ليثبت فلسفياً صحة الوضع المتدني للمرأة الذي وضعتها فيه العادات والتقاليد اليونانية .

وتأتي أهمية الدراسة وذلك لخطورة نظرية أرسطو عن المرأة لأنها ترددت بكثرة في تراثنا العربي ربما لأنها وجدت أرضاً خصبة مهياً لتقبلها ، بما تحتوي عليه من آراء مماثلة لا يفتقها سوى التنظير !. (Susan G: p . 17, 1973).

وهي عبارة تصدق بنصها على التراث العربي ، فلو أنك أمعنت النظر قليلاً لوجدت عبارات أرسطو وأفكاره عن سرعة انفعالات المرأة وعنفها ، وعن جنس الإناث الرقيق الحساس العاطفي ، سريع التأثر ، الذي ينقاد لعوامل الشعور أكثر مما يسترشد بنور العقل ؛ ولهذا فهو جنس اقل استعداداً للرئاسة من جنس الرجل ؛ لأن الرئاسة قيادة تستوحى من العقل لا الشعور . (د . محمد يوسف موسى ، ٥٤)

وهناك أفكار أخرى كثيرة سوف تترد طوال هذا البحث يشعر القارئ معها أن ما يقول أرسطو ليس غريباً عنه ، بل إن رجل الشارع أصبح يردد بعضها في يقين وثقة ، فمن منا لم يسمع عن تدني ذكاء المرأة ، ونقص العقل عندها ، وعدم اتزانها في الحكم على الأشياء ، وعدم صلاحيتها للسياسة ، أو القيادة ، أو إدارة شؤون الدولة ... إلخ حتى إذا ما رأى أمامه نماذج لامعة من الشرق والغرب على السواء ، جردها عامداً دون أن يجهد نفسه في البحث عن تفسير لها ، أو يسأل : كيف تتسق مع أفكاره ؟ فعلى سبيل المثال لا الحصر بلقيس و زنوبيا وكيلوبيترا قديماً ، ومارجريت تاتشر تربعت على قمة الحكم في انكلترا ، وأنديرا غاندي في الهند ، حتى في الشرق بي نظير بوتو في باكستان ، وقبل ذلك وبعده : جولدا مائير ، التي ذقنا المر على يديها في اسرائيل ! ، ذلك كله لا يجعله يسأل نفسه ولو مرة واحدة : أكون سائق سيارة تاتشر أو (بي) أو (أنديرا) أرجح منها عقلاً لمجرد أنه رجل وهي امرأة ؟ . أكون الساعي أو الحارس – الذي يقف على بابها –

(*) الميتافيزيقا أو الميتافيزياء : لفظة مكونة من مقطعين ميتا وتعني بعد أو وراء ، فيزيقا وتعني الطبيعة ، واللفظ يشير الى ما بعد أو وراء الطبيعة ، وهو العلم الذي يبحث في صنف خاص من الموجودات وهي الموجودات اللامادية كالاله والروح والنفس ، ينظر : صليبا ، جميل ، المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٢ ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ .

أقدر منها على إدارة الدولة ، أو أكثر اتزاناً في الحكم على الأشياء لمجرد أنها امرأة ، وأنه رجل .

(إمام عبد الفتاح، ١٩٩٦ : ٧)

غير أن أرسطو لا يكتفي بهذا القدر من نقائص المرأة ، وإنما يضيف إليها عدم قدرتها على ممارسة الفضائل الأخلاقية المختلفة على نحو ما يفعل الرجل ، وعدم قدرتها على شغل أي منصب اجتماعي ، أو ثقافي . إن مهمتها تقتصر فقط على الإنجاب ، بل إن مسؤوليتها تكون كاملة إن أنجبت الإناث ! وهي فكرة كانت ، وربما ما زالت ، شائعة جداً في مجتمعنا العربي . أما الإسلام فقد رفع المرأة العربية من حضيض الجهل والتخلف ، بعد أن كانت تورث مع ممتلكات الرجل ، إلى أعلى المراتب الاجتماعية عندما جعلها قيمة على نفسها ومالها وزوجها .. إلخ . ومن هنا تأتي أهمية دراسة نظرية أرسطو عن المرأة ، ومقارنة آرائه وأفكاره عنها بما يقال في تراثنا العربي ، قديماً وحديثاً ! (A)
(Aristotle : Poetics , XV , 1454)

Abstract

This study aims to statement look Aristotle for Women has put Aristotle's theory of philosophical about women , derives Daamtha of basic metaphysics, and then claimed applied in the field of biology first, ethics and politics then , to prove a philosophical validity of the low status of women , who developed the habits and traditions of the Greek .

The importance of the study and that the seriousness of Aristotle's theory about women because they hesitated in abundance in the Arab heritage perhaps because it found fertile ground ready to accept them, as it contains similar views not only lacked theorizing ! Just as happened in the western heritage , the picture painted by Aristotle very important for women , and having a huge effect , they were deposited in the depths of the Western culture , and she became the Pacific and mentor for women in general ! It is incredible stipulating the Arab heritage , if you look more closely a little to found the words of Aristotle and his ideas about the speed of emotions of women and violence , and female sex slave delicate emotional , impressionable , which is driven by factors more sense than guided by the light of reason ; That is why it is sex less in preparation for the presidency sex men; because the inspired leadership of the presidency do not mind feeling .

أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م)

حياته : أرسطو بن نيقوماخوس (نحو ٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) ، طبيب أمينتاس الثاني ملك مقدونيا ، ولد ببلدة سطاغيرا شمالي اليونان ، وتوفي أبوه وهو حدث .

فلسفته : تنقسم المعرفة عند ارسطو الى نظرية وعملية وشاعرية او بالاحرى إنتاجية ، ثم هو يقسم المعرفة النظرية الى علوم الفلسفة والطبيعة والرياضيات ، ويقسم المعرفة العملية الى الاخلاق والسياسة وعدد من الانشطة الاخرى .

أولاً : اهتمام أرسطو بالبيولوجيا : من الطبيعي أن يهتم أرسطو بالبيولوجيا ، وأن يبحث فيها عن تطبيقات عملية لأرائه النظرية في الوظيفة ، والهيراركية والصورة والهيولي ... إلخ ، مما يدعم نظريته عن المرأة . فقد كان أبوه (نيقوماخوس) من أسرة توارثت الاشتغال بالطب ، وكان هو نفسه طبيباً للملك أمينتاس الثاني جد الاسكندر . (جورج سارتون : ١٥٢) .

والنظرة السريعة على مؤلفات أرسطو تكشف عن مدى اهتمامه (بالبيولوجيا) حتى صارت من أهم ميادين بحوثه الرئيسية ، صحيح أننا نستطيع القول إنه كان دائرة معارف كبرى في جميع ألوان المعرفة العلمية ، والطبيعية ، والفلكية ، والرياضية في عصره – فضلاً عن العلوم الفلسفية بالطبع (وهذا هو السبب في تسميته بالمعلم الأول) – لكنه كان رائداً في ميدان البيولوجيا (ول ديورانت : ٤٩٩)

حتى أن أعظم علماء البيولوجيا المحدثين (تشارلز دارون) يقول عنه : ((لقد كان لينيس Linnaeus ، وكوفييه Cuvier معبودي على اختلاف في طريقة العبادة لكني أراهما الآن – إذا قيسا إلى أرسطو العجوز – مجرد تلميذين)) (سارتون : ٢٧٧)

ومن هنا تأتي خطورة آراء أرسطو البيولوجية التي سيطرت على الفكر البشري فترة زمنية ربما كانت أطول من الفترة التي ساد فيها منطق الصوري . فقد استمر عملاقاً ومؤثراً حتى القرن الماضي ، رغم ما في هذه الآراء من أخطاء وخلاصة القول أن كتاب تاريخ الحيوان لأرسطو هو خير مؤلفاته على الإطلاق ، وهو أعظم ما أثمره العلم في بلاد اليونان في القرن الرابع ق . م . ولقد لبث علم الأحياء عشرين قرناً ينتظر مؤلفاً يضارعه . (ول ديورانت : ٥٠٤) لقد ذكر أرسطو في هذا الكتاب ما يقرب من ٥٠٠

حيوان مختلف ، فقد تعلم التشريح عن والده ، وقام هو نفسه بتشريح أكثر من خمسين حيواناً ، لكنه على الأرجح لم يشرح جسداً بشرياً قط . وربما يكون قد شرح جنيناً بشرياً لكنه لم يأخذ عنه معلومات مباشرة . (ول ديورانت : ٥٠٣)

فقد كان يأخذ معلوماته من مصادر كثيرة ومنوعة : منها ملاحظات الآخرين ، ومن الرعاة ، والصيادين ، وقناصي الطيور ، وصيادي السمك في بحر إيجه . ولهذا لم تكن مؤلفاته البيولوجية الثلاثة التي تتحدث عن ((تاريخ الحيوان)) وهي ((أجزاء الحيوان)) ، ((طباع الحيوان)) ، ((توالد الحيوان)) (ودبعة طه نجم ، ١٩٨٥) على درجة واحدة من القيمة ، فبعضها إشارات عامة ، بغير شرح أو تفصيل ، وبعضها الآخر رواها رحالة (W . D . Ross : p . 12) .

إذ يروى أن الاسكندر الأكبر أصدر أوامره لصياديه ، وحارسي صيده ، وصائدي السمك ، وغيرهم ألا يمنعوا عن أرسطو أي نوع يطلبه منها ، وأن يمدوه بما يريد من معلومات (ول ديورانت : ٤٩٩) وبهمنا هنا أن نشير إلى نقطتين أساسيتين :

الاولى : أن البداية هي المبادئ التي يحددها العقل كما ذكرنا ، فها هنا نجد أرسطو يبحث عن المادة والصور ، والهيراركية التي تحدثنا عنها واضحة جداً ، فهو يبدأ بالتفرقة بين

الموجودات الحية ، وغير الحية أو الجمادات . أي أن الجمادات تخدم الحياة بصفة عامة ، لكنه هنا يفرق داخل مملكة الحياة بين الكائنات الحية نفسها ، فهي مرتبة منذ البداية بطريقة تصاعديّة : النبات أولاً ، ثم يعلوه الحيوان ، وفوقه الإنسان . و عيار التفرقة بينها بحيث توضع في مرتبة أدنى أو أعلى في سلم الكائنات الحية – هو كمية الحرارة الموجودة في الكائن الحي ، فأدنى الكائنات الحية مرتبة هي أقلها في درجة الحرارة . ولهذا يرى أرسطو إنه من خلال سلم الحيوان كله نجد الاختلافات واضحة ومتدرجة في كمية الحرارة ، والطبيعة تسير شيئاً فشيئاً من الأشياء غير الحية إلى الحياة الحيوانية . (Aristotle :, Vol . , I . P . 922) .

- الثانية : أن المنظور الذي يفهم به أرسطو البيولوجيا هو نفس منظوره الفلسفي في فهم العالم ، فليس علم الحياة أو غيره من العلوم مجرد مجموعة من الوقائع التي يجمعها الباحث عن طريق المشاهدة أو الملاحظة ثم يقوم بتفسيرها ... إلخ . وإنما العلم الحقيقي (أي المعرفة الفلسفية في نهاية الأمر) أن تقدم المبررات العقلية التي تفسر لنا لم كانت هذه الوقائع على نحو ما هي عليه ، وليست على نحو آخر ، وفي أي ميدان آخر من ميادين المعرفة ، نسعى إلى الفهم الفلسفي ، والفهم الفلسفي هو الكشف عن الضرورة العقلية ، الكامنة في الوقائع .

(H . Randall : Aristotle , P . 46)

ومعنى ذلك أن تفسير الوقائع يعتمد على مجموعة من المبادئ وهي عادة مبادئ ميتافيزيقية . فنقطة البدء في أي موضوع تتضمن هذه المبادئ التي تشبه اليوم ما نسميه ب((العروض)) ونصل إليها عن طريق العقل على أن نبين أن هذه هي الطريقة الفلسفية الوحيدة التي يمكن أن نفهم بها الواقع – فالعقل فيما يقول أرسطو هو الأساس الأول للعلم . وهذه المبادئ الميتافيزيقية هي التي تقودنا في رأي أرسطو إلى الكشف عن ((العلل)) التي يمكن أن تكون هي ((المقدمات)) في الوقت الذي تكون فيه ((الوقائع)) التي نلاحظها هي النتائج – ذلك لأن مبادئ العلم عند أرسطو تتحدد وفقاً للنظام العقلي للعالم . (Lynda Lange : Discovering Reality P . 7) .
فها هنا سنكشف أن
دونية الأنثى ترجع إلى أنها مجرد ((هيولي)) ، فهي لا تقدم في عملية الإنجاب سوى المادة الخام . في حين أن الذكر هو الموجود الأعلى ؛ لأنه ((الصورة)) أو ((العقل)) أو ((الروح)) التي تبعث في هذه المادة الميتة (*) والمرأة أقل حرارة من الرجل ، ولذلك فهي أدنى منه . والمرأة أضعف ، لأن المادة سلبية والصورة ايجابية (*) . وغير ذلك كثير من الأفكار التي تدعم الفكرة الأرسطية عن المرأة ، وتهبط بها إلى مرتبة وسط بين العبد والرجل الحر .

ثانياً : البيولوجيا .. وطبيعة الأنثى : فكرة الفيلسوف الفرنسي جاستون بشلار (١٨٨٤ – ١٩٦٢) التي تقول : إن العالم لا يقبل على موضوعات بحثه بذهن خال من الأفكار والآراء ، أي ((بنية عقلية فارغة)) ، وإنما يدرس الموضوعات العلمية المختلفة ، وهو مثقل بأفكار جاهزة وآراء مُعدة من قبل ، هذه الفكرة تكاد لا تصدق على عالم قدر ما تصدق على أرسطو ، ((عالم البيولوجيا)) ! لكن إذا كان ((بشلار)) يذهب إلى أن ((الروح)) عندما تقدم نفسها للثقافة العلمية لا تكون شابة أبداً ، بل هي بالأحرى تكون

(*) لا بد أن نشير إلى أن أرسطو يستخدم باستمرار كلمة النفس (Anima) لكن ربما كانت كلمة ((الروح)) هنا أكثر تعبيراً عن المعنى المقصود)

(*) لأنه كان يعتقد : كما أشرنا ، أن كمية الحرارة هي المعيار الذي يرفع الكائن في سلم الوجود ، فإن نقصت كان موجوداً أدنى – وهي بالطبع فكرة خاطئة .

عجوزاً بلغت من العمر شأواً بعيداً ، فعرها هو بالضبط عمر ما لديها من أحكام وآراء مبسترة (18 : G . Bachelard). لقد رأينا كيف كانت البيولوجيا موضوع اهتمام رئيسي عند أرسطو ، أما نظرتة إليها فقد كان يعتقد أنها تدرس موضوعات ثلاثة رئيسية هي :

- (١) مشكلة الإنجاب أو التوالد
- (٢) مشكلة الإحساس
- (٣) مشكلة الحركة

وتعد المشكلة الأولى بمثابة الأساس للمشكلتين الأخرتين ، إذ يمكن أن توجد بذاتها ، في حين أن الأخرتين لا توجدان إلا بعد وجودها ، ولهذا فإننا سوف نهتم بها بصفة أساسية . ويسوق أرسطو الكثير من الشواهد الهامة ، والملاحظات النافذة ، حول مشكلة الإنجاب ، وهو يرى أن الإنجاب يمكن أن يتم بثلاث طرق :

(أ) الإنجاب أو التوالد التلقائي

(ب) الإنجاب عن طريق والد واحد

(ج) الإنجاب عن طريق والدين

وكان أرسطو في ذلك العصر يؤمن بالتوالد التلقائي ، بل أن هذه النظرية ظلت مسيطرة على العقول لقرون طويلة قبل أن يتم تنفيذها في القرن الماضي على يد عالم الكيمياء الفرنسي لويس باستير (١٨٢٢ - ١٨٩٥) نتيجة لتجاربه على البكتريا أما (W . D . Ross : Aristotle , p . 117) .

الإنجاب من والد واحد فقد كان أرسطو يعتقد أنه يتم في مملكة النبات ، وفي بعض الحيوانات التي تشبه النبات في سكونها وعدم حركتها . والواقع أنه النظرية الثالثة هي التي سيطرت على اهتمامه ، وهي في الوقت ذاته النظرية التي تهمننا في موضوعنا الحالي ، وذلك لأنه ناقش فيها بعض المشكلات الهامة ذات الصلة المباشرة بنظريته عن المرأة . لقد أهتم أرسطو اهتماماً كبيراً بعملية الإنجاب أو التوالد ، ورأى أنها العملية ((الطبيعية)) أكثر من غيرها بالنسبة للكائنات الحية الناضجة أو مكتملة النمو ، وهي وظيفة طبيعية في هذه الكائنات ، لأنها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الخلود ، ويرى أن أقرب الوظائف الى الطبيعة لكل كائن حي كامل ليس بناقص - ألا يكون فيه التوالد تلقائياً ، هو أن يخلف وراءه كائناً شبيهاً به : الحيوان حيوان آخر ، والنبات نبات آخر ، بحيث يشارك في الأزلي والإلهي بحسب طاقته . وهذا هو موضوع النزوع بالنسبة لجميع الكائنات ، وغاية نشاطها الطبيعي . غير أننا سوف نبين بعد قليل أن الذكر هو وحده ، في الواقع ، الذي يحقق الخلود ، لأنه هو الذي يزود الجنين بالروح . وها هنا تكون أهمية الأنثى التي يحدد أرسطو دورها بوضوح . وإذا كان أرسطو قد أهتم بعملية الإنجاب أو التوالد التي تجعل الكائن الحي يشارك في الأزلي أو الإلهي ، ويكتب لنوعه الخلود ، فإنه أهتم داخل هذه العملية بثلاث مشكلات رئيسية هي :

(١) مساهمة الذكر والأنثى في عملية الإنجاب .

(٢) المساهمة في تحديد جنس الجنين .

(٣) هل تتم المساهمة بإشراك الجسد كله ، أم بعضو معين فيه فحسب .

وسوف نسوق كلمة سريعة عن كل منها لما لها من أهمية في إلقاء الضوء على طبيعة الأنثى عند أرسطو .

ثالثاً : دور الذكر والأنثى :

يقدم أرسطو في كتابه ((توالد الحيوان)) تعريفاً للذكر والأنثى على النحو التالي : ((يختلف الذكر في تعريفه عن الأنثى بما له من ملكات خاصة ، فنحن نعني بالذكر ذلك الذي ينسل في الآخر ، ونعني بالأنثى تلك التي تنسل من داخلها ذاتها بحيث يخرج النسل من باطنها ، وهو النسل الذي كان موجوداً في الناسل من قبل)) (, Aristotle Generation of Animals 7 – A Susan Okin , Women in Western . ومثل هذا التعريف لا يشير إلى جوانب خاصة بالتشريح فحسب ، وإنما يشير كذلك إلى مراتب أو درجات في الوجود . فهناك ((قدرات أو ملكات خاصة)) ، موجودة عند الذكر لكنها غير موجودة عند الأنثى ، ولهذا سوف يكون لكل منهما دور خاص في عملية الإنجاب ووظيفة تختلف عن الآخر . (Political Thought: P. 81)

(فلننظر في مساهمة كل منهما في الإنجاب على أن يكون في ذهننا باستمرار المفاتيح الأساسية عند أرسطو التي سبق أن تحدثنا عنها ، والتي تشكل الأساس الميتافيزيقي للنظرية ، كما تشكل الأساس في بناء الكون بأسره . لقد سبق أن رأينا الأنواع الثلاثة من الإنجاب : التلقائي ، والإنجاب من والد واحد ، كما هي الحال في النبات عندما توجد هوية بين الجنسين . لكن من الأفضل في رأي أرسطو ، أن ينفصل الجنس الأعلى ((الذكر)) عن الجنس الأدنى ((الأنثى)) – وإذا كانت الصورة ، كلما سبق أن رأينا ، أفضل من المادة أو الهيولي ، وإذا كانت طبيعتها إلهية أكثر منها ، فإنه يكون من الأفضل ، كما كان ذلك ممكناً ، أن ينفصل الذكر عن الأنثى (*) . يقول : في جميع الحيوانات القادرة على الحركة ينفصل الذكر عن الأنثى ليصبح أحد هذه الحيوانات ذكراً والآخر أنثى على الرغم من أنهما متحدان في النوع ، مثلما تقول : إن الرجل والمرأة موجودان بشريان ، والفرس والمهرة كلاهما خيل ... إلخ . وأما في حالة النبات فتندمج هاتان القوتان معاً بحيث لا ينفصل الذكر عن الأنثى ، ولذا فهما ينسلان من ذوات نفسها ولا ينتجان حيوانات منوية ، بل بذوراً .

(Aristotle , Generation of Animals 732 – A)

ويجب ملاحظة أن المنظور الميتافيزيقي الأرسطي هو السائد هنا ، وهو ينقل فكرته الميتافيزيقي ليطبقها على جميع الموضوعات التي يدرسها . فإذا كان هناك هيراركية في الكون ، وهيراركية سياسية واجتماعية ، فهناك أيضاً هيراركية بيولوجية ، أعنى ترتيباً تصاعدياً في عالم الحياة ((إذ تسير الطبيعة متدرجة من الأشياء الجامدة إلى الكائنات الحية أو الحياة الحيوانية ، بتلك الطريقة التي تجعل من المستحيل وضع خط فاصل دقيق . لكن بصفة عامة نجد أنه فوق الجمادات أو الأشياء التي لا حياة فيها يأتي النبات ، ويختلف نوع ما من أنواع النبات عن نوع آخر في كمية الحرارة الحيوية الظاهرة . فإذا كان نوع النبات يبدو خالياً من الحياة إذا ما قورن بالحيوان ، فإنه مزود بالحياة إذا ما قورن بالموجودات الجامدة ومن الملاحظ أن هناك سُلماً صاعداً متصلاً من النبات متجهاً إلى الحيوان ... (Aristotle , History of

(*) وانظر أيضاً قوله في عبارة بليغة وموجزة : ((لما كانت العلة الفاعلة أفضل وأكثر قداسة من المادة التي تعمل عليها ، فمن الأفضل أن يكون المبدأ الأعلى والمتفوق منفصلاً عن الأدنى . ومن ثم فلا بد أن ينفصل الذكر عن الأنثى كلما كان ذلك ممكناً)) (توالد الحيوان ٧٣٢ – أ . المجلد الأول من مجموعة المؤلفات الكاملة لأرسطو ، نشرة بارنز سالفة الذكر ص ١١٣٦ .

– 588 Animals) . ويفرق أرسطو داخل عالم الحيوان ، بين الذكر والأنثى ، ويرى أن الأنثى هي التي تنسل بداخلها أو يتم بداخلها الحمل ، ونمو الجنين وهي لذلك تشبه الأرض . ويعتقد أرسطو أن النفس (أو الروح) هي قوة الحياة ، وهي الأساس في الكائنات الحية (*) ، ولما كانت أنواع الكائنات الحية ثلاثة ، كانت الأنفس ثلاثة : النفس الغازية ، وتقوم بعملية التغذية وهي موجودة في النبات ، ثم النفس الحاسة وهي التي توجد في الحيوان ، والنفس العاقلة الموجودة في الإنسان . والنفس في جميع الحالات هي : علة ومبدأ الجسم الحي ((وهي)) جوهر الأجسام المتنفسة ، ما دام علة الكائن في كل شيء هو الجوهر (ارسطو ((في النفس)) ص ٥٣ – ٥٤) . ونصل الآن إلى مساهمة كل من الذكر والأنثى في عملية الإنجاب لنجد أن أرسطو يذهب إلى أن الدور الحاسم هو دور الذكر الذي يقدم لنا ((الصورة)) و ((العلة)) ومبدأ الحياة أو ((الروح)) ، والنفس في الجنين . في حين أن الأنثى لا تقدم سوى ((المادة)) أو ((الهولي)) . أما الذكر فهو يزودنا بالصورة ، وبمبدأ الحركة والأنثى تزودنا بالجسد أو الهولي ***** *

المرأة والسياسة : السياسة عند ارسطو هي علم السعادة الاجتماعية ، كما ان الاخلاق هي علم السعادة الفردية . والسعادة الاجتماعية هي ان ينعم الانسان بحياة فاضلة ، ولا تتحقق هذه الحياة الفاضلة إلا في ظل القانون ، والعدالة ، والمساواة (٢٧) ، وهو ما يتطلب وجود الدولة التي هي التجمع الاكمل الذي يتضمن سائر التجمعات ، فيرى ان الأسرة هي التجمع الطبيعي الأول وهو يستشهد على ذلك بما يقول الشاعر هزيود :

عليك أولاً أن تبدأ بإعداد المنزل

ثم بإحضار المرأة

وأخيراً الثور الذي يجر المحراث ..

(Aristotle : Politics , 1252 – B (Vol . 1 . p 1987)

وإذا كان الثور يقوم في خدمة الفقراء مقام العبيد ، فإن أرسطو يستخلص من قول الشاعر عناصر تكوين الأسرة : الرجل وعبيده ، ثم الزوج والزوجة ، وأخيراً الأبناء ويهمننا الآن أن نبين ان الأسرة هي أول صور المجتمع البشري * .

(*) هذا الربط كان قائماً في الفكر اليوناني ، والروماني بعد ذلك ، وهو ما يوضحه أن كلمة النفس اللاتينية Anima هي التي جاءت منها كلمة الحيوان في اللغات الأوروبية الحديثة – الانكليزية والفرنسية Animal . (*) سوف يتضح فيما بعد ان العدالة عند ارسطو التي اعتبرها ((ضرورة اجتماعية)) ، بل هي ضرورة الاجتماع السياسي ، لا يمكن ان توجد إلا بين المتساويين او الانداد او النظراء أي بين أولئك الذين يشاركون على قدم المساواة في ان يحكموا كمواطنين رفقاء ، وفي هذه الحالة سيكون من الظلم ان يعامل هؤلاء الانداد بأية طريقة اخرى غير طريق المساواة .

(*) حقوق النساء في المجتمع الاثيني يمكن ان نلخصها في كلمة واحدة : لم يكن لهن حقوق ! واذا كانت هناك اية مطالب فمن خلال الاوصياء عليهن . ولقد روى زينوفون مناقشة دارت بين ايزخوماخوس وسقراط يشبه فيها الاول الزوجات بالعبيد والخيل بينما يشبههن الثاني بالانعام والخيل .. والواقع ان النساء لم يكن في رأي القانون اشخاصاً اكثر منهن عبيداً . فهن يقضين بقية حياتهن في الانتقال من وصاية رجل الى وصاية رجل اخر ، ويمكن ان يكون الوصي : الاب او الزوج او الابن او الاخ او قريب ذكر من بعيد . وهن كما عرف ارسطو العبد أداة حية يملكها الرجل – عصر القضيبي ص ١٠٢ .

إن أرسطو يعلن بصراحة ووضوح منذ البداية انه لا يوجد مساواة بل توجد اختلافات جوهرية أو نوعية أو اختلافات طبيعية كما سنرى بعد قليل ، فلا يكون السيد سيداً لعلاقته بفرد أو عدد قليل من الأفراد ، وإنما هو سيد بالطبيعة ، فهي التي تحدد من هم السادة ومن العبيد ، ومن هم الحكام ، ومن المحكومون ولا راد لقضائها ! ونفس التسلسل الهرمي الذي يسود موجودات الطبيعة قائم أيضاً بين أفراد المجتمع البشري . وهكذا ينقل أرسطو أفكاره الميتافيزيقية إلى السياسة كما نقلها من قبل إلى البيولوجيا فهو هنا يؤمن بوجود مراتب ودرجات بين الشعوب فمنها ما هو أعلى كالإغريق وما هو أدنى كالبرابرة الذين هم غير اليونانيين بصفة عامة . ولهذا نراه يكتب لاسكندر الأكبر عندما غزا الشرق رسالة ينصحه فيها ان يفرق في المعاملة بين اليونانيين والشرقيين ، بحيث يعامل اليونانيين بوصفه قائداً لهم ، ومع البرابرة (والشرقيين) بوصفه سيداً عليهم ، لأن البرابرة يخضعون للإغريق بالطبيعة . وإذا ما اختلف الناس بعضهم عن بعض في شكل الجسد ، كما تختلف تماثيل الإلهة (عن أشكال البشر) فمن الواضح أننا سنتفق جميعاً على أن الطبقة الدنيا ينبغي أن تكون عبيداً للطبقة العليا . وهكذا يتضح ان بعض الناس أحرار بالطبيعة ، وان بعضهم الآخر عبيد بالطبيعة – وعموماً فحالة الرق نافعة وعادلة للثنتين معاً (Aristotle : Politics , 1252 – B (Vol . 1 . p 1987)

أما الرجل اليوناني الحر فهو الإنسان على الأصالة عند أرسطو ، وإذا كان أرسطو يستخدم طوال حديثه عن الإنسان وطبيعته ، كلمة يونانية تعني ((الموجود البشري)) فإننا سرعان ما نكتشف أنه يطلقها على فئة ضئيلة للغاية من نوع واحد من الجنس البشري هي ((الرجل اليوناني الحر)) . أما المرأة فهي اقل من حيث العقل والذكاء (حيث يغلب عليها الجانب اللا عقلي) ، وهي ادنى من حيث المرتبة والمكانة ، معزولة عن ميدان السياسة ومستبعدة من الميدان الثقافي بصفة عامة . ولهذا كان لها في مجال الأخلاق فضائلها الخاصة ، وهي في مرتبة وسط بين الرجل اليوناني الحر وبين العبد الرقيق ! . إما الرقيق فقد وضع أرسطو نظرية متكاملة يبرهن فيها على ان وضعهم ((طبيعي)) فقد خلقوا رقيقاً ، بل ان في وضعهم هذا نفعاً لهم وللسادة في آن معاً .

ثانياً : الأسرة .. ووضع المرأة : كان أفلاطون يدعو إلى إلغاء الأسرة في طبقة الحراس ليؤكد ((الدولة الواحدة)) فلا أب ، ولا ابن ، ولا زوج ، ولا زوجة ، لان الجميع يشكلون أسرة واحدة كبيرة ، ومن هنا لم يكن للمرأة في جمهوريته وظيفة محددة ، فأحالتها إلى رجل يقاتل ، ويصارع ، ويتلقى تدريبات عنيفة ... إلخ . غير ان أرسطو رفض هذه النظرة التي عرضها أفلاطون على لسان سقراط في الجمهورية – جملة وتفصيلاً ، وهو بصفة خاصة يوجه إليها ثلاثة اعتراضات أساسية :

١ . الوحدة التي تحدث عنها سقراط ، وظن ان فيها الخير الأقصى للمدينة والتي أدت إلى إلغاء الأسرة الخاصة لكي تضع الحراس في أسرة كبيرة – سوف تؤدي إلى تحطيم المدينة . يقول أرسطو في الكتاب الثاني من السياسة : المبدأ الذي ينطلق منه سقراط هو ان هدف الدولة تحقيق أعظم قدر من الوحدة للدولة ككل ، ذلك هو الخير الأقصى ، لكن من الواضح ان الدولة التي تستمر في طريق الوحدة فتتحد ، وتتحد ، سوف ينتهي بها المطاف إلى ان تتوقف عن ان تكون دولة على الإطلاق . فالدولة بطبيعتها تجمع من الأفراد أعني أنها تتضمن بداخلها مجموعة كبيرة من الأعضاء ، ولو إنها زادت في وحدتها فسوف تتحول في النهاية الى أسرة بدلاً من الدولة . ثم تتحول بعد ذلك لتصبح فرداً بدلاً من ان تكون أسرة

(Aristotle : Politics , 1961 (Vol . 2 . p 2001)

٢. هناك اعتراض ابعد ، فقد ألغى أفلاطون الأسرة نتيجة لإلغاء الملكية ، لأنه يخشى الخلاف بين طبقة الحراس على ملكية الأشياء ، وان يقول كل واحد منهم هذا ملكي ، أو ليس ملكي وانتهى إلى ضرورة إشراكهم في كل شيء ، غير ان الملكية الخاصة ليست سبباً للاختلاف والمنازعات ما دمنا لا نسمح بازديادها الى حد غير مقبول ، لان الملكية الفردية يمكن ان تكون حافظاً لكل شخص على زيادة الإنتاج .

٣. ان التضحية بالأسرة والأبناء ستجعلنا نصطدم بعقبات كبرى بالنسبة لشيوع الزوجات والأطفال : تبدأ من الاهانات غير المعتمدة بوجهها الابن الى أبيه دون ان يدري لان الأول أب للجميع ، وليس لشخص معين ، وما دامت الصلات مجهولة فقد نصطدم بجرائم قتل الآباء لأبنائهم ، أو الابن لأمه ، وكذلك قتل الأشقاء ، ونكاح المحارم ... إلخ . وهكذا تضع العلاقات الطبيعية ، والعواطف بين البشر

(Aristotle , 1962 – A (vol . 2 , p . 2002) .

ثالثاً : الرجل ومركزه في الأسرة :

علاقة السيد والعبد : الرجل هو رأس الأسرة بماله من عقل راجح يستطيع تدبير شؤون المنزل والمدينة معاً . وهو أشبه بربان السفينة الذي يستعين بأدوات جامدة كالدفعة ، كما يستعين بالأحياء من البشر مثل قائد مقدمة السفينة . وكذلك يستعين رب الأسرة بمجموعة الأدوات الحية وهم العبيد في كسب دخل الأسرة ، والعلاقة معهم علاقة السيد والعبد ، وتقوم على أساس القوة وهي بما هي كذلك لا علاقة لها بالعدالة ، ويعتقد أرسطو انه ما دام هناك أشخاص هم ((بالطبيعة عبيد)) ، وان وضعهم كرقيق أفضل لهم وأكثر عدلاً ، كانت علاقة السيد والعبيد مفيدة ونافعة لهما معاً

(Aristotle : Politics , 1264- A Vol . 2 . p 1989)

وهكذا يقر أرسطو بصحة الوضع القائم للرق في اليونان ، ويعطيه مبرراته العقلية عندما يقول : ((ان هناك انواعاً من الموجودات نتبين فيها منذ الميلاد التفرقة بين أشخاص هم بطبيعتهم حكام وقادة ، وبين أشخاص لديهم الاستعداد للخضوع ، ومن الخير لهم ان يسلموا أمر القيادة لغيرهم ، فإذا كان الإنسان يتألف من نفس وجسد ، فإن الأولى هي بطبيعتها الحاكم ، والثاني هو بطبيعته المحكوم)) ، إذ نجد عند بعض الناس ان الجسد هو الذي يحكم النفس . أما القول بأن النفس تحكم البدن فتلك هي السلطة التي يمارسها السيد على العبد ، تماماً كما يحكم العقل الشهوة . وإذا كان من الطبيعي ، ومن المفيد للجسد ، ان تتحكم فيه النفس ، فكذلك من الطبيعي ، ومن المفيد للجانب الانفعالي ان يحكمه العقل والوضع المعكوس أو المصاد للوضع المعتاد للطبيعة ان يحكم الجسد النفس ، ولهذا فإذا طغى الجسد عند شخص ما كان معنى ذلك أنه يقدم أفضل ما عنده عندما يقوم بأعمال يدوية او جسدية ، وكان من الخير له ان يحكمه السيد لأنه عبد بالطبيعة ، مهياً لان يملكه شخص آخر وهو إذا كان يشارك في العقل فإلى الحد الذي يفهم به الآخرين ، رغم انه هو نفسه محروم من العقل بمعناه الكامل ، وهو في ذلك يختلف عن الحيوانات التي لا عقل لها ولكنها تسلك الغريزة.

المرأة والأخلاق

أولاً : هيراركية الأخلاق : هذا ميدان ثالث يُطبَّق فيه أرسطو أفكاره الميتافيزيقية السابقة ، وهي الأفكار التي شكل منها نظرية كاملة عن المرأة ، وها هنا سنجد من جديد فكرة الهيراركية ، وفكرة الوظيفة ، والهولي والصورة ... إلخ . ولقد سبق ان رأينا أرسطو يذهب مسابراً تراث المجتمع اليوناني الى انه يمكن تعريف المرأة بوظيفتها في الإنجاب وتربية الأطفال ، أو اقل بدقة أكثر : تربية الأبناء ؛ لان الأب لم يكن يهتم بالبنات .

وباختصار كان وضع المرأة في المجتمع الأثيني يشبه كثيراً وضع العبيد ، فلفظ الزوجة كان يعني (دامار) وجذور هذا اللفظ تعني التابعة . وعندما كانت العروس تصل إلى بيت العريس كان يفرغ فوق رأسها سلة مملوءة بالبندق لجلب الحظ ، وهو تقليد كان يمتد إلى العبيد الذين اشتراهم الرجل حديثاً . ولم تكن المرأة كالعبد ، تتمتع بأية حماية في ظل القانون ما لم يملكها رجل . إذ الواقع إنها لم تكن شخصاً في نظر القانون (Eva C . keuls: p . 6) . وهكذا اقتصر دور المرأة على الإنجاب وتربية الأطفال ورعايتهم ، ولا سيما الذكور منهم والإشراف على الأعمال المنزلية ، وأداء الواجبات نحو الزوج أولاً . ثم تجاه الأبناء والعبيد وبالتالي لم يكن لها دور خارج المنزل ، وخارج الإنجاب للمحافظة على النسل وتحقيق الخلود للذكر ، فهي وسيلة يستخدمها الذكر لتحقيق غاياته في حياته ، وبعد مماته على حد سواء . ولو تأملنا النظرية الأرسطية ، قليلاً ، لوجدنا إنها ((تُنظر)) العادات والتقاليد الموجودة في المجتمع بالفعل ، وأفكار أرسطو الميتافيزيقية الأساسية تساعد على إعطاء المبررات ((العقلية)) للوضع المتدني للمرأة في المجتمع الأثيني : فالمرأة تبعاً للهيراركية الأرسطية أدنى من الرجل ، واقل من حيث القدرة العقلية ، إذ يطغى عليها الجانب الجسدي او جانب الانفعالات والشهوات .. إلخ فهي اقرب الى العبد كما ذكرنا منذ قليل . كما انها اضعف من الرجل في قدراتها العامة نظراً لقلة الحرارة عندها كما تكشف البيولوجيا ، وهي الهولي في حين ان الرجل هو الصورة ، وهي ((الجسد)) في حين ان الرجل هو ((الروح)) وهي ((المادة الخام)) ، والرجل هو ((المبدأ العقلي)) . ولهذا كان الرجل هو الأعلى ، والاسمى ، والأرقى ، وهو الذي يحكم في المنزل أولاً وعلى المرأة السمع والطاعة ، وهو الذي يحكم في الدولة ثانياً وعلى المرأة ان تظل بعيدة عن ضجيج السياسة ، وان تلوذ بالصمت الذي هو ((زينتها وتاجها)) . فإذا تساءلنا عن وضع المرأة في ميدان الأخلاق ، أعني عن علاقتها بالفضائل البشرية ، كان الجواب يسير في نفس الخط السابق ، فنظرية أرسطو الأخلاقية بكاملها متأثرة ، على نحو واضح جداً ، بنظريته الهيراركية التي اعتبرها طبيعية ، لانها ضرورية في تحقيق الأهداف الخاصة بالحياة البشرية (Susan M . Okin : p 86)

ويمكن ان نقول بصفة عامة :

١. ان جميع الفضائل البشرية الأساسية التي ناقشها أرسطو في كتابه ((الأخلاق)) كالصداقة ، والحب ، والعدالة ... إلخ ليست على مستوى واحد بالنسبة لجميع الأشخاص وإنما هي تختلف اختلافاً جذرياً في طبيعتها ، وتعتمد في ذلك على الوضع النسبي للأشخاص الأعضاء في المجتمع ، وعلى مرتبة كل منهم ومركزهم الاجتماعي والأسري إلخ .

٢. لا ينظر أرسطو إلى أي مفهوم أساسي من مفاهيم الأخلاق : كالأمانة ، أو الشرف أو الإخلاص ، أو العفة ، أو الشجاعة .. إلخ على انه يمكن ان ينطبق على نحو عام وكلي على جميع أفراد البشر بل لا بد من مراعاة وضع الشخص في سلم الهيراركية البشرية ، وبالتالي رتبته ومركزه ووظيفته ، فتلك هي الأمور الحاسمة التي تحدد نوع الفضيلة أو العفة أو الشجاعة المطلوبة لهذا الشخص أو ذاك . قل لي أين يقع وضعك الاجتماعي أقل لك ما هي الفضائل المناسبة التي ينبغي عليك ان تتحلى بها . لهذا السبب نجد أرسطو يطرح منذ البداية مجموعة من التساؤلات عن الفضائل التي ينبغي ان يتحلى بها أفراد الأسرة ، وعماً إذا كانت واحدة عند الجميع ، وهو يبدأ بالعبيد ، فيرى انه من المسلم به ان لهم قيمة بوصفهم أدوات حية وخدم (لاحظ أنهم يقومون مقام الثور في الأعمال الشاقة التي ذكرها هزيبود في شعره) لكن أيمن ان تكون لهم فضائل أخرى ؟ هل هناك فضائل

أعلى ؟ أيمن لهم ان يكتسبوا احترام الذات ، والشجاعة والعدالة ، وغير ذلك من فضائل ؟ ثم يقول : إننا نستطيع ان نجيب عن هذه الأسئلة بإحدى طريقتين تمثل كل منهما مشكلة : فلو أننا قلنا : نعم ، لهم فضائل من هذا القبيل لثار سؤال جديد : وما الفرق بينهم ، في هذه الحالة ، وبين الأحرار من البشر ؟ ولو كانت الإجابة بالنفي ، أعني انه ليس لهم فضائل من هذا النوع ، لكان الوضع غريباً أيضاً ما داموا موجودات بشرية لديها قدرات عقلية . (Aristotle : Politics , 1259 – B)

ويمكن ان يطرح هذا السؤال نفسه بالنسبة للزوجة والأطفال : ألهما فضائل أخرى ؟ أينبغي للمرأة ان تكسب احترام الذات ، والشجاعة ، والعدالة ؟ أينبغي ان تكون الزوجة خيرة ، كريمة ، فاضلة ، بمعنى ان تتحلى بفضيلة العفة وضبط النفس ، وغيرهما من فضائل الزوج أم ان لها فضائلها الخاصة ؟ وهل يمكن ان نصف الطفل بأنه فاسق او عفيف ؟

ثانياً : أخلاقيات الأسرة : يذهب أرسطو الى ان جميع أعضاء الأسرة يشاركون في الفضائل ، لكنهم لا يشاركون فيها بنصيب واحد ، وبطريقة واحدة ، بل هم يتفاوتون في ذلك كل بقدر وظيفته وموقعه من الأسرة ، فرب الأسرة يجب ان يحرز أعلى الفضائل مثله مثل الحاكم او الرئيس لا بد ان تكون لديه الفضائل كاملة بقدر المستطاع ، لان وظيفته هي وظيفة المهندس او العقل المهندس . أما بقية أعضاء الأسرة فانه يكفيهم ان ينالوا من الخير الأخلاقي بالقدر الذي تتطلبه مراكزهم ؛ فعفة الزوجة غير عفة الزوج ، وشجاعة المرأة غير شجاعة الرجل . كما ان العدل يختلف بينهما أيضاً : فهناك شجاعة الرئيس او الحاكم ، وهناك شجاعة العبد او الحاكم ، وهناك شجاعة المرأة ... إلخ ولا بد ان يعد الرجل جباناً اذا لم يكن لديه من الشجاعة إلا ما لدى المرأة ، كما ان المرأة تعتبر ثرثارة اذا لم يكن لديها من التحفظ إلا بمقدار ما يجب ان يكون عليه الرجل الذي يعرف السلوك في الحياة ، وعلى ذلك ففي الأسرة تختلف وظائف الرجل اشد الاختلاف ، وبالتالي تختلف فضائله عن المرأة وفضائلها . واذا كان العبد يولد عبداً بالطبيعة التي ميزته بقوة الجسد والقدرة على الأعمال الوضعية الشاقة ، وجعلت الجانب العقلي عنده ضحلاً لمجرد ان يفهم أوامر سيده . فإن الفضيلة لا بد ان تكون مختلفة ، عليه السمع ، والطاعة ، وتفهم إرشادات سيده وتنفيذها ، لان في ذلك صالحه هو ، ونفعه هو الخاص . والواقع ان فضائل العبد غايتها تسهيل مهمة السيد تماماً مثلما ان فضائل الطفل غايتها تسهيل عمل الناضحين الذين يسهرون على تربيته وتهذيبه وفي هذه النظرية نجد في الواقع تجاهلاً واضحاً للقيم الروحية سواء عند الطفل او عند العبد على حد سواء ، بل انك ستجد هذه النظرية تنطبق أيضاً على الطبقة المنتجة في المجمع كالصناع والزراع والتجار إلخ . أما بخصوص الواجبات المفروضة على كل من الزوجة وزوجها في علاقتهما الأسرية فإن أرسطو يلخصها على النحو التالي ***** :

١. **واجبات الزوجة :** يعتقد أرسطو ان المرأة ((الفاضلة)) صاحبة الامتياز الحقيقي والجدارة الحقيقية هي التي تكون ربة منزل من الطراز الأول ، تسهر على تربية الأطفال ، وتسير على قواعد محددة منها ،

(Aristotle : Economics , 1353 - B (Vol . 2 . p 2146)

١. ينبغي إلا تسمح لأحد بدخول المنزل بدون علم زوجها * .
٢. ان تبعد عن القيل والقال ، وما تمارسه النسوة المتسكعات اللائي ينتقلن من منزل الى آخر ، ويعملن على تسميم النفوس * .

(*) ((واذا استأذن صديق لبعها على الباب ، وليس البعل حاضراً ، لم تستقم ولم تعاوده الكلام غيرة على نفسها وبعها)) المرجع السابق ص ٦٦ .

٣. ينبغي ألا تطلع احداً على ما يدور بداخل منزلها بل تكون هي وحدها العليمة بما يحدث فيه ، فإذا ما وقع أمر من خارج البيت كان الزوج هو الملموم (*) .

٤. لا بد ان تكون مدبرة ، فتضبط نفقات البيت* ، والحفلات التي يفضلها زوجها وان تجعل حدوداً معينة من الإنفاق على اللباس والزينة ، واضعة في اعتبارها ان الجمال لا يعتمد على الملابس الغالية الثمن ، ولا على كثرة المجوهرات* .

٥. امتياز المرأة لا يعود الى الذهب بمقدار ما يرجع الى سلوكها وتصرفاتها في كل ما تفعل ، وميلها الى حياة شريفة منظمة تنظيماً جيداً ، تلك هي الزينة التي ترفع من قدر المرأة ، وتظل قائمة في شيخوختها ، باقية لأولادها من بعدها . تلك هي مملكة المرأة التي ينبغي عليها ان تضع في اعتبارها كيف تحكمها بنظام وتدبر ، وليس من اللائق للرجل ان يعرف كل ما يدور داخل المنزل : أما في جميع المسائل الأخرى فليكن هدفها ان تطيع زوجها دون ان تلقي بالأل للمسائل العامة . بل حتى عندما يبلغ أولادها مبلغ الزواج ، فلا ينبغي ان تتدخل في هذا الموضوع ، وانما عليها ان تتنحي تماماً ، وان تصغي الى زوجها بكل احترام فتوافقه ، وتطيع امره ، وان تكون على بينة تامة من انه اذا كان من غير اللائق ان يتدخل هو في الشؤون الداخلية للمنزل ، فانه لا يليق لها ان تتطفل على الأمور التي تقع خارج البيت ((ان على المرأة صاحبة الحياة المنظمة ، ان تنظر الى مطالب زوجها كما لو كانت قوانين فرضتها عليها الإرادة الالهية (*) ، ما دامت تشاركه حياته . فإذا ما تحملت هذه الحياة بجلد ، وصبر ، وجدت نفسها تحكم بيتها في بيتها في سهولة ويسر ، وإلا فسوف تجد صعوبة بالغة في إدارة المنزل

(Aristotle : Economics , 1353 - A (Vol . 2 . p 2147)

ثم يسوق أرسطو بعض النصائح للزوجة ((الفاضلة)) و ((الصالحة)) الممتازة ، التي هي جديرة بالثناء منها : أن تكون وفية لزوجها في السراء والضراء ، فلا تكون مطيعة له ما دام في حالة رخاء ، ثم لا تكون كذلك أيام المحنة والشدة :

((فإذا ذهبت ثروته بسبب مرضه أو أخطائه ، فينبغي عليها ان تُظهر معدنها الأصيل . ومن ثم عليها ان تشجعه بكلمات رفيعة ، وان تخضع له بكل الطرق المناسبة ، وألا تفعل شيئاً وضيقاً أو غير جدير بالاحترام ، وألا تذكر له امرأ سيئاً كان قد ارتكبه وهو في حالة ضيق نفسي ، كذلك عليها ان تكف عن الشكوى أو التذمر ، أو اتهامه بارتكاب الأخطاء وإنما عليها ، على العكس ، ان تعزو كل شيء الى المرض أو السهو ، أو الأخطاء العابرة ، لأنه بقدر صمودها في خدمته في هذه الأوقات يكون امتنانه و عرفانه لها عندما يسترد عافيته ، او يسترجع ثروته . ويعتقد أرسطو ان الزوجة التي تعيش مع رجل ثري ، او زوج صاحب جاه ، لن تواتيها الفرصة لتكشف عن معدنها الأصيل ، في حين ان القدرة على تحمل الشدائد هي التي تستحق عظيم الاحترام ، لان الروح العظيمة هي وحدها القادرة على الحياة وسط المصاعب دون ان تأتي ما يشين : ((إنها تصلي لكي تجنب زوجها

(*) ((قليلة الكلام لجيرانها ، لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول)) المرجع السابق .

(*) ((حقوق الزوج على الزوجة كثيرة اهمها امران : الصيانة ، والستر ، والاخر : ترك المطالبة بما وراء الحاجة)) المرجع السابق ص ٦٥ .

(*) ((من الواجبات عليها ألا تفرط في ماله وتحفظه عليه)) المرجع السابق ص ٦٥ .

(*) ((ومن ادبها ألا تفاخر على الزوج بجمالها ، ولا تزدرى زوجها لقبحه)) المرجع السابق ص ٦٧ .

(*) ((لا بد للمرأة ان تعرف ان طاعة الزوج من مبادئ الاسلام)) المرجع السابق ص ٦٤ .

المحنة ، وعندما يقع الزوج بالفعل في محن ، فإنها تدرك انه ها هنا تظهر المرأة الممتازة الجديرة بأعظم الثناء. ويضرب أرسطو للزوجة ((الفاضلة)) صاحبة الامتياز – أمثلة شهيرة ، يقول : ((ان على الزوجة الممتازة ان تتذكر ان ألكستيس لم تكن لتتال كل هذه الشهرة ، ولم تكن بنبوب ، تستحق كل هذا الثناء والاطراء ما لم يكن قد تعرض زوج كل منهما لمحنة كما هو معروف ، وهكذا حققت متاعب أدميتوس وأوليس سمعة طيبة لهاتين الزوجتين لن تموت ابداً ، لأنهما برهنتا في ظروف صعبة وعصيبة على الإخلاص لزوجيهما فأسبغت عليهما الإلهة الاحترام الواجب . والسبب هو انه سهل جداً ان تجد شريكة وقت الرخاء ، لكن المرأة الفاضلة هي وحدها التي تشارك في الضراء والمحن ، ولهذا فإنه ينبغي على الزوجة ألا تخجل من زوجها حتى إذا ما ذهب عنه ثراؤه ، او ضعفت صحته))

(Aristotle , op . cit . 1353 – B)

٢- **واجبات الزوج** : إذا كانت هناك واجبات ينبغي ان تراعيها الزوجة الفاضلة أو الصالحة ، فان هناك واجبات أخرى ينبغي على الزوج الفاضل أو الصالح مراعاتها^(*) إذ يجب عليه ان يعامل زوجته بالطريقة نفسها ، ما دامت قد دخلت بيته كشريكة لحياته وحياة أطفاله ، فالنسل سوف يحمل اسميهما معاً . وما الذي يمكن ان يكون مقدساً أكثر من ان ينجب المء من زوجة نبيلة محترمة ، اطفالاً يكونون قرة عين لهما ، ورعاة لهما في شيخوختهما وحراساً مخلصين لوالديهما ؟ ان رعاية الوالدين لأطفالهم في حياتهم ، سوف تعمل على نمو هؤلاء الأطفال نمواً حسناً على أسس من الفضيلة ، وبغير هذه التربية سوف يختل سلوكهم وما لم يكن الوالدان قدوة لأطفالهم في حياتهم فسوف يكون أمامهم ((المثل السيء)) والعذر للسلوك الشائن ، وقد يجلبون على أنفسهم العار والدمار .

(Aristotle : Economics , 1353 - B Vol . 2 . p 2147)

ومن ثم فان تدريب الزوجة ينبغي ان يكون موضع عناية لا حد له من جانب الزوج ، حتى ينمو الأبناء نمواً حسناً متفرعين من أنبل جذع ، فالفلاح لا يألو جهداً ، عندما يحرق التربة ، عن الاهتمام ببذر البذور في أصلح أرض وأكثرها خصوبة أملاً بذلك ان يجني أفضل الثمرات . وهو على استعداد كي يجنبها الخراب ان يدخل في صراع مع خصومه حتى الموت الذي يكلله الناس بأعلى ثناء ! لا بد للزوج ان يعتني بزوجه كما يُعنى الفلاح بأرضه التي تنتج له المحاصيل . وعندما يشير أرسطو الى ضرورة إطعام الجسد نراه يقول صراحة : ((لا بد ان نوجه كل عناية الى أم أطفالنا التي نزرع فيها البذور لتخرج لنا منها الروح الحي ، فبهذه الطريقة وحدها يشارك كل فان في الخلود ، وتتواصل تقديم الصلوات الى الإلهة الأسلاف ، ومن لا يفعل ذلك فهو يستخف بالإلهة)) . والزوجة الفاضلة يحترمها الناس أكثر عندما يشاهدون إخلاص الزوج لها ، وانه لا يفضل عليها امرأة أخرى ، لأنه يحبها ويثق بها ، ولهذا فعلى المرأة ان تكون كما يريد لها الزوج ان تكون . غير ان أرسطو يريد من الزوج أيضاً ان يكون محترماً ، فليس من العقل السليم فيما يقول ، ان تهب الرجل اسمه لأبناء غير شرعيين ، أو ان يضاجع كل من هب ودب من النساء ، وإلا فإن ((الطفل الوضيع)) الذي ينسله في هذه الحالة ، سوف يشارك الأطفال الشرعيين حقوقهم ، كما يشارك الزوجة أيضاً

(Aristotle : Economics , 1353 - B (Vol . 2 . p 2149)

(*) أما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر أمراً : في الوليمة ، والمعاشرة ، والدعاية ، والسياسة ، والغيرة ، والنفقة ، والتعليم ، والقسم ، والتأديب في النشور ، والوقاع ، والولادة ، والمفارقة بالطلاق ((إحياء علوم الدين)) المجلد الثاني ص ٤٧ .

لكن على الزوج أيضاً ان يراعي مجموعة من الأمور الهامة في معاملة الزوجة :

(١) عند تأنيب الزوجة عليه ان ينتقي كلمات محترمة ، وان يستخدم عبارات لائقة وان يختار ألفاظاً مهذبة ، فلا يجوز ان يلجأ الى الألفاظ السوقية .

(٢) عليه ان يتغاضى عن الأخطاء غير المتعمدة ، وما قد ترتكبه الزوجة من أمور تافهة وإذا ما ارتكبت خطأ عن جهل ، فان عليه ان ينصحها بغير تهديد وبطريقة مهذبة .

(٣) عليه ان يسيطر على نفسه ، وان يكون سيد أفعاله ، وبذلك يكون خير مرشد لزوجته في كل أمور الحياة .

(٤) عليه ان يربط ضبط النفس بالخجل ، والحب ، والخوف ، والتواضع . وهذا ما فعله ((هوميروس)) الذي امتدح هيلين لأنها خاطبت بريام بقولها : ((حماي العزيز أنت رجل احترمه وأخشاه)) وهو يعني بذلك ان حبها له يختلط بالخوف والاحتشام .

ومن ناحية أخرى تحدث أوليس الى ناولسكا* بهذه الطريقة ((سيدتي لقد تملكني الدهشة والرهبة)) ذلك لان هوميروس كان يعتقد ان هذا هو شعور الزوج والزوجة كل منهما اتجاه الآخر . وسيكون في ذلك كل الخير لهما معاً ، فلا أحد يخشى بهذه الطريقة الخجولة ، من شخصية وضيعة وإنما تلك مشاعر الأرواح النبيلة تجاه بعضها بعضاً . فلقد كانت تلك هي مشاعر أوليس تجاه زوجته بنلوب .

الخاتمة

كثيراً ما يقال ان العلاقة بين الفيلسوف والمرأة كانت على مر العصور علاقة سيئة مضطربة ، على خلاف علاقتها بالشاعر ، مثلاً ، او الفنان بصفة عامة . وقد يقال في تفسير هذه العلاقة السيئة : ان الفيلسوف يعمل في حقل المجردات ، ويخلق في سماء المثل في حين ان المرأة تميل الى الاهتمام بالمحسوسات والارتباط بأرض الواقع . أما ان يكون رأيه في ((المرأة)) بصفة عامة سيئاً بحيث لا يرى فيها سوى موجود ادنى من الرجل مهمته في هذه الدنيا خدمته ورعاية اولاده وربما تخليده عن طريق الانجاب – كما يذهب ارسطو – فلا بد من تفسير اخر هو ، خضوع الفيلسوف ، في الأعم الأغلب خضوعاً يكاد يكون تاماً لوضع المرأة الاجتماعي في عصره .

ولقد سبق ان رأينا طوال هذا البحث ، كيف كان ارسطو ((يُنظر)) وضع المرأة المتدني في عصره ، رغم وجود سيدات ، في هذا الجو الخانق ، على درجة كبيرة من الذكاء ، ورجاحة العقل ، وقوة البصيرة ، في مجتمع كان يقتل مواهب النساء جميعاً ، ولا يعترف بهن إلا خادمت للاب او الزوج ، لانهن قاصرات لا يجدن سوى اعمال المنزل ، ومع ذلك فقد عرف ارسطو نساء لم يكن من هذا الطراز : عرف في بيللا عاصمة مقدونيا امرأة على درجة كبيرة من الذكاء ، ورجاحة العقل وقوة الشخصية هي أوليمبياس والدة الاسكندر . ولقد كانت هذه المرأة الحديدية تقف وراء ابنها تبث فيه روح العظمة ، والقوة ، وتؤنبه كلما وجدت فيه ضعفاً او تردداً . عرف ارسطو أيضاً الشاعرة سافو التي سماها سقراط بالجميلة ، وكان بذلك يعبر عن عبقريتها ، وقال عنها اغلاطون : انها الربة العاشرة للفنون كما عرف المرأة الذكية البارعة ، التي كانت حديث أثينا ((أسباسيا))

(*العذراء ناولسكا أميرة ذات جمال بارع فتان ، وهي ابنة الكنيوس الباسل ملك الفيياكيين ، كانت اول من قابل أوليس بعد ان تحطمت سفينته عند الساحل الفيياكي ، قارن أوديسة هوميروس ، ترجمة امين سلامة ص ١٦٦ بنك الادباء – القاهرة عام ١٩٦٠ .

رفيقة بركليز حاكم أثينا الشهير – التي يروي المؤرخون ان بيتها كان منتدى للشخصيات الكبيرة في أثينا فقد كان يحضر صالونها الادبي : سقراط ، افلاطون ، وفيدياس ، وأنكساجوراس ، وسوفكليس ، ويوربيدس . بل ان بعض الشعراء كانوا يسمونها ((هيرا)) او الالهة الملكة ! .

المصادر العربية

- ارسطو ، في النفس ، ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الالهواني ، القاهرة ، دت .
- الغزالي ، ابو حامد ، احياء علوم الدين ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
- إمام ، إمام عبد الفتاح ، أرسطو والمرأة ، مكتبة مدبولي ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- جورج سارتون : تاريخ العلم ، ج ٣ ، دار المعارف ، دت .
- د. ودیعة طه نجم ، منشورات معهد المخطوطات العربية بالكويت عام ١٩٨٥ .
- محمد يوسف موسى ، نظام الحكم في الإسلام ، دار الكتاب العربي ، دت .
- ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مجلد ٧ ، القاهرة ، دت .

المصادر الاجنبية

- Aristotle , Generation of Animals 7 – A Susan Okin , Women in Western, , 1962 .
- Aristotle , Generation of Animals 732 – A .
- Aristotle , History of Animals 588 – A .
- Aristotle , op . cit . 1353.
- Aristotle : Economics , 1353 .
- Aristotle : Economics , 1353 .
- Aristotle : Economics , 1353.
- Aristotle : Generation of Animals 719 .
- Aristotle : Politics , 1252 .
- Aristotle : Politics , 1259 .
- Aristotle : Politics , 1264.
- Aristotle : Politics , 1961.
- Aristotle : The Complete Works.
- Eva C . keuls , The Reign of Phallus .
- G . Bachelard , La Formation de L' Esprit Scientifique.
- H . Randall : Aristotle.
- Lynda Lange : Discovering Reality.
- Political Thought.
- Susan G . Women from the Greeks to the French Revolution
- Stanford University Prees .
- Susan M . Okin : Women in Wesern of Political Thought >
- W . D . Ross : Aristotle ,.